أسماء الشهور من خلال الأصالة والتراث

د. عمر موسى باشا(*)

أحسن مكتب التعريب كل الإحسان في اعتماد كتابة الأرقام وتعميمها على الدول العربية لتتبناها مرحلياً ذلك لتوحيد بعض مظاهر التباين في بعض الأمور التي اختلف أبناء الأمة الواحدة على رسمها بشكل موحد.

ومن المعروف أن خطوات المكتب المذكور سوف تتناول توحيد أسماء الشهور بحسب التقويم الشمسي، بعد أن توضّح أن هذا الاختلاف يرجع أصلاً إلى الخطوات المرتجلة التي اتبعها أوائل المفكرين في عصر النهضة، والغريب أننا نلاحظ اختلاف تسمية الأشهر المذكورة بحسب الأقطار العربية، وبحسب الاستعمار الذي كان يسيطر عليها.

ولكن لابد من الإشارة هنا إلى المتبع أصلاً في كتب التراث العربي في المشرق وفي المغرب على السواء، ولسنا بحاجة لتعدادها، ولكن يجب الوقوف عندها قليلاً، من خلال الملاحظات التالية.

1 ـ أجمعت كتب التراث كلها في أنحاء المشرق والمغرب في أدبنا القديم كله حتّى عصر النهضة على استخدام أسماء الشهور المعروفة والمتداولة في سورية والعراق، ولم يشذّ عن هذا الاتجاه في التسمية أي كتاب في النثر، أو أي شاعر استخدم أسماء الشهور العربية، والشواهد كثيرة يعرفها المتمرسون في كتب التراث العربي ومن ذلك مثلاً قول الشاعر المصري جمال الدين بن نباته يرثي ابنه عبد الرحيم الذي وافته منيته في شهر كانون الثاني.

في شهر (كانون) وافاه الحمام لقد
أحرقت بالنار (كانون) أحشائي

والملاحظ أن الشاعر ورّى في الشطر الثاني، بعد إيراده اسم كانون، بالكانون الذي يستدفأ به في أيام الشتاء الباردة.

2 ـ نص ابن النديم في فهرسته على استخدام أسماء هذه الشهور منذ أقدم العصور، وذكر أنها كانت معتمدة لدى العرب جميعاً في كل زمان ومكان.

والملاحظ أن طبيعة هذه التسميات الشهرية كانت ملائمة كل الملاءمة للفصول الأربعة، وهذا جانب كبير يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، لأن طبيعة هذه المسميات استمدت من طبيعة البلاد العربية، ومن الغريب العجيب أن تتبنّى بعض الدول العربية ما استخدمه بعض المعربين من مصر العربية منذ عهد محمد علي ونابليون وقيام المترجمين بأخذ كل شيء دون التنبه إلى أن هذا الاتجاه سوف يفسد اللغة العربية التي لم تكن لتنتظر أن يطعنها هؤلاء بتسميات ليست بعربية أصلاً، وإنما هي تصحيف

(*) رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة دمشق مقرر جمعية البحوث والدراسات في اتحاد الكتاب العربي.

وتشويه للغات التي بهرتهم وأنستهم تراثهم وأصالتهم ، وهذا يعني بصريح العبارة أن هذا الاتجاه كان مريباً ، يخفي وراءه الهيمنة الفكرية على اللغة العربية وعلى أساليبها ابتداء من أبسط مصطلحاتها التي تدرّ على كل شفة ولسان .

3 ــ تسربت أسماء هذه الشهور المعربة والمصحفة والمشوّهة إلى الأقطار التي تأثرت بالثقافة المذكورة ، واستخدمتها بشكل أو بآخر ، وأصبحت تتمسك بها لا عن قناعة ، وإنما لاعتمادها أنها قد درجت وسجلت بها الوقائع والأحداث خلال فترة طويلة ومن الصعوبة بمكان أن تبدّل ، أو أن تعود إلى ما ورد في التراث العربي ، هذا ما يتعلق بالمرحلة الأولى من انتشار معربات أسماء الشهور عن طريق الثقافة الانكليزية .

وأما المرحلة الثانية فقد واكبت المرحلة الأولى زمنا تقريباً عن طريق الثقافة الفرنسية ، وسادت في شمال افريقية ، ولم تحتفظ بشكل موحّد فيما بينها ، وإنما رأينا اختلافاً بيناً في تسمية بعضها .

وهكذا يتضح من خلال هذا العرض المجمل للمراحل التي مرت على اللغة العربية على ضوء استخدام أسماء الشهور نقلا عن اللغتين الانكليزية والفرنسية ، أن هذه التسميات اتخذت سبلاً مختلفة بما يوافق طرق كل بلد في إطار التعريب واللهجات المحلية الخاصة ، يضاف إلى ذلك سلطان المستعمر في فرضها على الشعوب المستعمرة .

إن المبادرة التي صدرت عن مكتب تنسيق التعريب جديرة بالاهتمام ، ومن الواجب علينا أن نتفق على تسميات الشهور ، لأن الاتفاق في هذه الجزئيات هو أصلا الدعامة التي يقوم عليها صرح الوحدة .

ومن العبث أن نفكر بتبني الأسماء المنحدرة من أصل انكليزي أو إفرنسي ، وهما متشابهان في بعض الأحيان .

ولم يبق أمامنا غير العودة إلى الأصالة والتراث ، لا أننا نؤثر هذا البلد أو ذاك ، وإنما نسعى إلى تعميم ما هو مستخدم عند بعض الدول العربية التي حافظت على ما اتفق عليه العرب القدماء منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمن .

4 ــ وأخشى ما نخشاه أن ننسى ما كان مستخدماً في كتب تاريخنا وأدبنا وحضارتنا ، وذلك إذا بدّلنا أسماء هذه الشهور ، وتكون بذلك قد حققنا للثقافات الأخرى هيمنتها على تراثنا وأصالتنا ، فنفقد بذلك شخصيتنا الاعتبارية اللغوية .

5 ــ قد يعتقد البعض أن بعض أسماء الشهور المذكورة مركبة تركيباً إضافياً يفقدها صلاحية الاستخدام اليومي كما هو الحال في (كانون الأول) ، و(كانون الثاني) ، و(تشرين الأول) ، و(تشرين الثاني) ، وهي الأسماء الأربعة الوحيدة التي استثقلت في إطار الاستخدام ، أو التي كانت مجال الاعتراض .

والأمر بسيط جداً في اعتقادي ، ويمكن أن نستخدم طرق النحت المشروعة في لغتنا العربية كما في (عبد شمس) ، فأصبح لفظها على الشكل التالي (عبشمسي) ، وكما في (امرئ القيس) فأصبح لفظها على الشكل التالي (مرقسي) ، ونحن قياساً على نحت العرب نقول في الأشهر المذكورة ، دفعاً لاعتراض بعضهم ، على الشكل التالي :

1 ــ كانون الأول تصبح : (كانّول)
2 ــ كانون الثاني تصبح : (كانو ثاني) أو (كاثاني)
3 ــ تشرين الأول تصبح : (تَشْرّول)
4 ــ تشرين الثاني تصبح : (تَشْراني)

أعتقد أن أسماء الشهور التي نتمنّى اعتمادها قد عرفها العرب قديماً ، واستخدموها في أدبهم شعراً ونثراً ، في المغرب والشرق على السواء ، وذلك لأنها تمت إلى تاريخ الأمة العربية ، وإلى اللغات السامية القديمة المعروفة ، وليست مستوردة أو دخيلة ، وإنما هي نابعة من التراث والتاريخ .

ولا أجد في ختام هذه الملاحظات التي أضعها أمام مكتب تنسيق التعريب ليدرجها ضمن هذا المشروع المنتظر والذي يقوم به لتوحيد أسماء الشهور الشمسية المذكورة إلا التأكيد على ضرورة المحافظة على قدسية التراث ضمن الأصالة ، وذلك وفق ما يلي :

1 ــ كاثاني (كانون الثاني)

2 ـ شباط
3 ـ آذار (نوّار)
4 ـ نيسان
5 ـ أيار
6 ـ حزيران
7 ـ تموز
8 ـ آب
9 ـ أيلول
10 ـ تشرّل (تشرين الأول)
11 ـ تشراني (تشرين الثاني)
12 ـ كانّل (كانون الأول)

ويتراوح عدد الحروف بين ثلاثة وستة ولا نجد مثل ذلك في الأشهر الأخرى المستخدمة ، وهذا بوحده كاف لإقرارها لغوياً .

إنني أعتقد مخلصاً أن هذا النحت الذي قدمته للمضاف من أسماء الشهور الأربعة المذكور يدحض قول المعرضين والمشككين ، ذلك لأن بقية أسماء الشهور الشمسية كما أوردناها سهلة ، ولينة ، وواضحة ، ومعبرة عن أحوال البلاد العربية الإقليمية من مشرقها إلى مغربها على السواء ، يضاف إلى ذلك أنها تستساغ في النطق لصوتي الملائم للغة العربية أكثر من الأسماء المستخدمة ، والتي لا تمت أصلاً إلى اللغة العربية بأي سبب ، زد على ذلك أن بنيتها التركيبية عربية الأوزان ، وهي ذات مضمون واضح ، وما أكثر الأمثال العربية التي تتضمن طبيعة كل شهر من حيث المناخ وغيره .

فليكن التراث رائدنا والحكم الفصل في هذا الموضوع ، ولنا من أصالة هذا التراث ما يوضح لنا هذا الأمر ، إلا إذا كنا نجهل التراث ، أو كنا نرغب في الأخذ به ، فنخبط في اللغة خبط عشواء ...

لقد حاولت الثورة الفرنسية أن تبدّل أسماء الشهور المعروفة عندها ، لكنها فشلت في فرضها على الشعب الفرنسي ، وبقيت أسماء الشهور المعروفة كما كانت لأن شعبها كان أمينا على تراثه .

ومن حقنا أيضا أن نتمسك بما ورد في التراث العربي والاسلامي ، من خلال استخدام أسماء الشهور ، ولو أننا قارناهما بعد التعديل المقترح بأسماء الشهور التي استخدمت في عصر النهضة والعصر الحديث لوجدنا البون كبيراً جداً ،

من حيث الإيجاز ، والسهولة ، والنطق ، والوضوح ، والدلالة ، ويمكن من خلال المقارنة البسيطة ، أن نتبين صحة ما نذهب إليه ، فبعضها يتفاوت عدد حروفها المكوّنة لها السبعة ، أو الثمانية ، أو التسعة ، ويختلف العدد أيضاً بحسب كتابتها باللغتين الفرنسية والانكليزية ، وهي المعتمدتان أصلاً عند معظم الأقطار العربية ماعدا سورية والعراق وهي معروفة لا جدوى من ذكرها هنا .

وهكذا يتضح ، بما لا يدع مجالاً لأي شك ، صوتياً ودلالياً ، وعددياً ، أن أسماء الشهور الشمسية المستخدمة في تراثنا العربي والاسلامي منذ القديم قد تطورت وأخذت شكلها النهائي .

فإن رغبنا في المحافظة عليها ، بعد التعديل المقترح للأشهر الأربعة ذات التركيب الإضافي ، فإننا نكون قد أحسنّا الصنع في المحافظة على ما تضمنه التراث اللغوي العربي الأصيل ، لا تعصباً منا له ، وإنما نخشى أن تتصدع الأصالة التي ننشدها جميعاً حفاظاً على اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن المنزل .

وليس لي في ختام هذه الملاحظات من أن أشفعها بالحديث المأثور عن الرسول الكريم : «أحبّوا العرب لثلاث : لأني عربيّ ، والقرآن عربيّ ، وكلام أهل الجنة عربيّ» .